جامعة أدرار
الملتقى الدولي الثالث عشر حول المذهب المالكي

الدكتور: الصديق حاج أحمد
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة أدرار

المحور الخامس: دور منطقة توات في نشر المذهب المالكي.
عنوان المداخلة: ظلال وملامح المذهب المالكي في رسائل الشيخ المغيلي.
عناصر المداخلة:
***ترجمة مختصرة للشيخ المغيلي.**
***تقديم رسائل المغيلي المدروسة.**
***رصد ظلال وملامح مرجعيات المذهب المالكي في رسائل المغيلي.**

خلف الصحراء المسامية للساورة, والمتاخمة لهضبة تادمايت وعرق شاش, تقابلك منطقة توات بقصورها النائية, ووداعة أهلها, واتساع صدرها للغريب, وإكرامها للضيف, هذه المنطقة الذاخرة التي كانت في القرون الماضية مركزا إقليميا حساسا, ومعبرا مهما للقوافل التجارية.
ومن الأعلام البارزين الذين كانت لهم أيادي بيضاء على المنطقة, الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي, هذه الشخصية العلمية, التي عرفت عند مترجميها بالذكورة العلمية, وشدة شكيمته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ومطاردته ليهود توات, وتنظيره لأسس الدولة الإسلامية بالسودان الغربي.
إن المتصفح للتراث العلمي الذي خلفه الشيخ المغيلي, ليقف على العديد من الإحالات والإسقاطات والمرجعيات الفقهية الخاصة بالمذهب المالكي, والتي أسس المغيلي عليها فتاواه ورسائله, في جميع الموضوعات التي تطرق إليها وأفتى فيها.
وقبل التطرق إلى هذه الظلال, يجدر بنا أن نقدم نبذة مختصرة عن حياة الشيخ المغيلي.

ترجمة الأمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

عصره:
عرف القرن التاسع الهجري بتلمسان, والمغرب الإسلامي, حركة علمية وفكرية مزدهرة, حيث برزت في هذا العصر, كوكبة معتبرة من العلماء, نذكر منهم, قاسم بن سعيد بن محمد العقباني (ت 837هـ), وابن مرزوق الكفيف (ت 842هـ), والعلامة إبراهيم التازي (ت 866هـ),والعلامة الحبّاك (ت 867هـ), وعبد الرحمان الثعالبي (ت 875هـ), ومحمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ), و أحمد بن زكري (ت 899هـ), والحافظ التنسي (ت 901هـ), والعلامة أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ)1.
مولده:
صمتت المصادر التاريخية عن ذكر تاريخ المغيلي, وحتى تلك التي ذكرته, فقد اضطربت في ذكره, فالبعض منها ذكر أنه ولد عام 790هـ2, ويبدو من خلال تفحص تاريخ الوفاة المتفق

---

[1] ـ مصباح الأرواح في أصول الفلاح ـ المغيلي ـ تحقيق رابح بونار ـ ص7, وما بعدها.
[2] ـ الفتح الرباني في أخبار الشريف المغيلي التلمساني ـ نقلا من محاضرة الشيخ الحاج أمحمد بن المصطفى الرقادي ـ مجلة القبس ـ مديرية التربية لولاية أدرار ـ عدد 1985.

عليه بين المؤرخين للمغيلي(909هـ), أن هذا التاريخ لا يطمئن إليه الباحث, ولا يخلد إليه الناظر, وذهب ابن القاضي في تاريخ الوفيات إلى أن مولده كان عام 820هـ3, واحتمل أحد الباحثين المحليين أن يكون تاريخ مولده عام831هـ4.

نشأته:

نشأ الإمام المغيلي بمسقط رأسه مغيلة, فتتلمذ على شيخها محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب, فحفظ عليه القرآن الكريم, وأخذ عليه مبادئ العلوم الشرعية, كما تربى على يد أبي العباس الوغليسي5.

رحلته في طلب العلم وشيوخه:

لقد رحل الإمام المغيلي إلى كل من بجاية, فتتلمذ على شيوخها, ونهل من علمهم, ثم قصد الشيخ عبد الرحمان الثعالبي, فتتلمذ عليه, وزوّجه ابنته زينب6, وكلّفه بنشر الطريقة القادرية بتوات, والسودان الغربي, وأخيرا قصد تمنطيط بتوات, فتتلمذ على شيخها يحي بن أيدير التادلسي7.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على الإمام المغيلي العديد من العلماء, منهم أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي صاحب كتاب المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب.

وتتلمذ عليه كذلك محمد بن عبد الجبار الفجيجي, والعاقب عبد الله الأنصمني المسوفي من أهل أكدس(النيجر)8.

موقف الإمام المغيلي من يهود توات:

لعلّ من بين الأمور التي أكسبت المغيلي شهرة عالمية, فضلا عن دعوته الإصلاحية بالسودان الغربي, ومساجلته مع الإمام السيوطي حول علم المنطق, فقد عرف المغيلي بحادثة يهود توات, كما ارتبط هدم كنائسهم, ومحاربتهم به, وخلاصة رأي المغيلي فيهم, أنهم ليسوا أهل ذمة, ولا تنطبق عليهم أحكام أهل الذمة؛ لأن الذمة الشرعية إنما تكون بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون, ويهود توات قد نقضوا هذه المواثيق, لذلك وجب هدم كنائسهم, ومحاربتهم9.

وقد عارضه في هذا الرأي قاضي تمنطيط عبد الله العصنوني, فلجأ كل منهما إلى علماء فاس, وتلمسان, وتونس10.

الجهود الإصلاحية للمغيلي بالسودان الغربي:

---

[3] ـ نقلا عن النبذة في تاريخ توات وأعلامها ـ عبد الحميد لكري ـ دار الغرب ـ وهران ـ ص78.

[4] ـ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية ـ مقدم مبروك ـ دار الكتاب ـ ص27.

[5] ـ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي ـ دراسة تاريخية لجوانب من حياته ـ الصديق حاج أحمد, وعبد الله كروم ـ خلية الأبحاث والدراسات التاريخية ـ المتحف التاريخي والأثري بزاوية الشيخ المغيلي ـ بلدية زاوية كنتة ـ ولاية أدرار ـ دراسة غير منشورة ـ ص9.

[6] ـ وقد توفت بقصر أولاد سعيد بنواحي تيميمون, وقبرها معلوم هناك.

[7] ـ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية ـ المرجع السابق ـ ص41.

[8] ـ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي ـ اسماعيل ميقا ـ مطبعة التوبة ـ المملكة العربية السعودية ـ ص102, وما بعدها.

[9] ـ المرجع نفسه ـ ص110.

[10] ـ نص المساجلة كاملا مع ردود العلماء, يوجد ضمن كتاب المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ـ الونشريسي ـ ج2ـ ص214.

لقد كانت للإمام المغيلي جهود إصلاحية بالسودان الغربي, وتتمثل تلك الجهود الإصلاحية في توجهه نحو كاشنا, وكانو, فالتقى بسلطانها محمد بن يعقوب , فوضع له القواعد, والضوابط التي يسير عليها في تسيير حكمه, وفقا للسياسة الشرعية, كما كتب له رسالة في الإمارة وشروطها, ورسالة أخرى تسمى فيما يجب للحكام في ردع الناس عن الحرام[11].

كما توجه نحو مدينة غاو (عاصمة سنغاي), والتقى بأميرها الحاج محمد أسقيا, فسأله عن الإمارة والحكم, فأجابه على تلك الأسئلة[12].

<u>مناظرته مع الإمام السيوطي حول علم المنطق:</u>

من الأمور التي جعلت الباحثين يتوقفون أمام شخصية المغيلي, قوله باستعمال المنطق, ومحاجته للإمام السيوطي , وتحرره العقلي, كل ذلك أكسب الإمام المغيلي مكانة علمية مرموقة في نظر الدارسين, والباحثين[13].

<u>مؤلفاته:</u>

خلّف الإمام المغيلي, عدد معتبر من المؤلفات العلمية المتنوعة, منها ما حقّق, ومنها ما لم يحقق بعد, وهذه المؤلفات هي[14]:

ـ مقدمة في العربية ـ تفسير الفاتحة.ـ مغني النبيل في شرح مختصر خليل.ـ شرح بيوع الآجال على ابن الحاجب.ـ مختصر تفسير القزويني.ـ مفتاح النظر في علم الحديث.ـ مصباح الأرواح في أصول الفلاح.ـ رسالة فيما يجب على الملوك.ـ أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي.ـ ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام.ـ رسالة في شؤون الإمارة.ـ منح الوهاب في رد الفكر عن الصواب(المنطق).ـ شرح الجمل للخونجي(المنطق).ـ كتاب المنهيات.ـ تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين.ـ شرح خطبة المختصر.ـ فهرسة مروياته.

<u>وفاته:</u>

تتفق كل المصادر, والمراجع على أن وفاته كانت ببوعلي[15](توات), عام 909هـ[16].

---

[11] ـ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي ـ المرجع السابق ـ ص 120.

[12] ـ تعرف بأسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي, قام بتحقيقها ونشرها الدكتور عبد القادر زبايدية.

[13] ـ نص المناظرة كاملا في المصدر: مصباح الأرواح في أصول الفلاح ـ المصدر السابق ـ ص10, وما بعدها.

[14] ـ لقد ذكرت هذه المؤلفات للإمام المغيلي في العديد من المصادر والمراجع التاريخية نذكر منها على سبيل التوثيق:

ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ـ أحمد بابا التنبكتي ـ مخطوط ـ المكتبة الوطنية ـ قسم المخطوطات ـ الحامة ـ الجزائر ـ تحت رقم 340 ـ ص355.

ـ شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ـ محمد بن محمد مخلوف ـ مخطوط ـ المكتبة الوطنية ـ قسم المخطوطات ـ الحامة ـ الجزائر ـ تحت رقم 1017 ـ ص274.

ـ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي ـ المرجع السابق ـ ص172, وما بعدها.

ـ تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ـ يحي بوعزيز ـ دار هومة ـ الجزائر ـ 2001 ـ ص85.

ـ الرحلة العلية إلى توات ـ المرجع السابق ـ ص81.

ـ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية ـ المرجع السابق ـ ص122, وما بعدها.

ـ مصباح الأرواح في أصول الفلاح ـ المصدر السابق ـ ص21.

ـ النبذة في تاريخ توات وأعلامها ـ المرجع السابق ـ ص80.

[15] ـ وهي مقر زاويته المشهورة بزاوية الشيخ المغيلي, التابعة إداريا لبلدية زاوية كنتة, ولاية أدرار.

تقديم فتاوى ورسائل المغيلي في أهل الذمة واليهود:

إن المصدر الوحيد الذي سوف نعول عليه في رصد وتصيد أبرز ملامح وظلال المذهب المالكي في فتاوى ورسائل المغيلي, هو تلك المراسلات التي تمت بين المغيلي والعصنوني لعلماء تونس وفاس وتلمسان, والتي ذكرها الونشريسي في المعيار[17], كما عولنا من جهة ثانية على رسالة المغيلي في اليهود, وإن كانت هذه الرسالة قد طبعت وحققت بأسامي متعددة, فقد حققها رابح بونار سنة1968 بعنوان مصباح الأرواح في أصول الفلاح, والحقيقة أن هذا العنوان هو من وضع الناسخ لا المؤلف, كما نشرت هذه الرسالة بالمغرب الأقصى بعنوان رسالة في اليهود من تحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنمبرة.

ظلال وملامح المذهب المالكي في فتاوى ورسائل المغيلي:

ـ مراسلات المغيلي والعصنوني لفقهاء فاس وتلمسان وتونس:

ـ الملمح الأول الذي استعمله المغيلي كمرجعية في هدم كنائس يهود توات, هو رأي ابن القاسم, وقد قرر هذا الرأي الونشريسي في تأيده للشيخ المغيلي[18].

ـ الملمح الثاني الذي اعتمده المغيلي كمرجعية من مرجعيات الفقه المالكي, هو رأي القرطبي في تفسيره للآية القرآنية" ولولا دفاع الله الناس"[19].

ـ الملمح الثالث الذي ارتكز عليه المغيلي هو رأي الطرطوشي[20] في سراج الملوك, حيث اعتمد على رأي عمر في هدم الكنائس التي لم تكن قيل الإسلام[21].

ـ الملمح الرابع الذي اعتمد ه المغيلي كمرجعية من مرجعيلت الفقه المالكي هو ابن الماجشون[22], حيث يعتبر ابن الماجشون من كبار فقهاء المالكية, وقد اعتمد ابن الماجشون رأيه في هدم كنائس اليهود على رواية مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا ترفعن فيكم يهودية ولا نصرانية", وفسره ابن الماجشون بقوله: لاتبنى كنيسة في دار الإسلام ولا في حريمه[23].

ـ الملمح الخامس الذي يستشف كظل من ظلال المذهب المالكي في فتاوى المغيلي, هواعتماد المغيلي على قول مالك في المدونة في كتاب الجعل, حيث قال مالك: لا يتخذ النصارى الكنائس في بلاد الإسلام[24].

---

16 ـ ينظر المصادر والمراجع الموظّفة في ترجمته.

17 المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء لفريقية والأندلس والمغرب , أحمد بن يحي الونشريسي , تحقيق محمد حجي وآخرون , دار الغرب الإسلامي , ج2, ص214.

18 المصدر نفسه, ج2 ـ ص232.

19 المصدر نفسه, الجزء نفسه ـ الصفحة نفسها.

20 الطرطوشي (451 - 520 ه = 1059 - 1126 م) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الاندلسي، أبو بكرالطرطوشى، ويقال له ابن أبى رندقة: أديب، من فقهاء المالكية، الحفاظ.من أهل طرطوشة Tortosa بشرقي الاندلس ـ الأعلام ـ الزركلي ـ ج7 ـ ص133.

21 المعيار ـ المصدر نفسه ـ ج2 ـ ص232.

22 ابن الماجشون(000 - 212 ه = 000 - 827 م) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء أبو مروان ابن الماجشون: فقيه مالكي فصيح، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه قبله.أضر في آخر عمره.ـ الأعلام ـ الزركلي ـ ج4 ـ ص160.

23 المعيار ـ المصدر السابق ـ ج2 ـ ص233.

24 المصدر نفسه ـ الجزء نفسه ـ ص234.

ـ الملمح السادس الذي اعتمده المغيلي في قوله بهدم كنائس يهود توات, هو ما قرره أبو حفص العطار في تعليقه على المدونة, وهو من كبار المالكية, حيث ذكر أن أهل الذمة لايكون لهم من بناء الكنائس إلا ما كان لهم عند النزول أول مرة[25].

ـ الملمح السابع الذي اعتمده المغيلي في تأسيس فتواه في هدم كنائس توات هو رأي ابن رشد[26], الذي يرى بأن ما جاء في المدونة هو هدم الكنائس, ولا يرى خلافا في ذلك[27].

ـ الملمح الثامن الذي اعتمده المغيلي في تأسيسه لهدم كنائس يهود توات هو ما ذهب إليه ابن عرفة[28], في شرخه لكلام اللخمي.

ـ الملمح التاسع في تقرير المغيلي لهدم كنائس توات هو اعنماده على ما رواه القرافي[29] في الذخيرة, حبث قال: لا يمكن الذمي من بناء الكنيسة في بلدة بناها المسلمون, أو ملكوها عنوة[30].

ـ الملمح العاشر في تأصيل قول المغيلي بهدم كنائس يهود توات هو رأي ابن عسكر البغدادي[31] وهو من كبار فقهاء المالكية في العمدة, حيث قال: ولا يمكنون من إنشاء الكنائس في دار الإسلام[32], وقد ذكر هذا الرأي كذلك الشيخ خليل[33] في التوضيح.

ـ رسالة المغيلي في اليهود المطبوع باسم مصباح الأرواح في أصول الفلاح:

أما بالنسبة للمصدر الثاني الذي عولنا عليه في رصد أبرز ملامح الفقه المالكي في رسالة المغيلي حول اليهود, فيمكن تصيد ذلك في ثلاثة وجوه.

---

25 المصدر نفسه ـ الجزء نفسه ـ ص.241

26 ابن رشد (450 - 520 ه = 1058 - 1126 م) محمد بن أحمد ابن رشد، أبو الوليد: قاضي الجماعة بقرطبة.من أعيان المالكية.ـ الأعلام ـ الزركلي ـ ج5 ـ ص316.

27 المعيار ـ المصدر السابق ـ ج2 ـ ص. 242

28 ابن عرفة (716 - 803 ه = 1316 - 1400 م) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره.مولده ووفاته فيهاـ الأعلام ـ الزركلي ـ ج7 ـ ص43.

29 أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الامام الشافعي) بالقاهرة.وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة.

له مصنفات جليلة في الفقه والاصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق ـ الأعلام ـ الزركلي ـ ج1 ـ ص95.

30 المعيار ـ المصدر السابق ـ ج2 ـ ص247.

31 (ابن عسكر) * (644 - 732 ه = 1246 - 1332 م) عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، أبو زيد أو أبو محمد، شهاب الدين: فقيه مالكي.كان مدرس المستنصرية.مولده ووفاته ببغداد.سافر كثيرا، ودخل اليمن.

من كتبه (إرشاد السالك ـ ط) فقه، و (جامع الخيرات في الاذكار والدعوات) و (المعتمد) فقه، و (النور المقتبس من فوائد مالك ابن أنس) ـ الأعلام ـ الزركلي ـ ج3 ـ ص329.

32 المعيار ـ المصدر نفسه ـ ج2 ـ ص247.

33 الشيخ خليل (000 - 776 ه = 000 - 1374 م) خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي: فقيه مالكي، من أهل مصر.كان يلبس زي الجند.تعلم في القاهرة، وولي الافتاء على مذهب مالك.

له (المختصر في الفقه ـ الأعلام ـ الزركلي ـ ج2 ـ ص315.

ـ الوجه الأول, اعتماد المغيلي على الشفا للقاضي عياض[34], وذلك أثناء حديثه عن حب النبي صلى الله عليه وسلم[35].
ـ الوجه الثاني, اعتماد المغيلي على كتاب الفروق للقرافي[36].
ـ الوجه الثالث, اعتماد المغيلي على مراتب الاجماع لابن حزم, في مسألة ما ينتقض به العهد[37].

الخلاصة:

من خلال وقوفنا على فتاوى ورسائل الإمام المغيلي حول يهود توات, نستخلص ما يلي:
ـ اعتماده على كبار فقهاء المالكية.
ـ جل المرجعيات التي اعتمدها كانت لفقهاء المالكية بتونس والمغرب الأندلس.
ـ لقد حرص المغيلي في رسائله بالتصريح عن مصادره مرجعياته.

---

34 القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو (2) بن موسى بن عياض ابن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي (3) السبتي؛ كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها " الإكمال في شرح كتاب مسلم " كمل به " المعلم في شرح مسلم " للمازري، ومنها " مشارق الأنوار " وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي: الموطأ والبخاري ومسلم، وشرح حديث أم زرع شرحاً مستوفى، وله كتاب سماه " التنبيهات " جمع فيه غرائب وفوائد (4) ، وبالجملة فكل تواليفه بديعة.
ذكره أبو القاسم بن بشكوال في كتاب " الصلة " (5) فقال: دخل الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بقرطبة عن جماعة، وجمع من الحديث كثيراً، وكان له عناية كبيرة به والاهتمام (6) بجمعه وتقييده. وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر بيروت ـ ج3 ، ص483.

35 رسالة في اليهود ـ المغيلي ـ تحقيق عبد الرحيم بن حادة وعمر بن ميرة ـ دار أبي رقراقا ـ المغرب ـ ص58.
36 المصدر نفسه ـ ص66.
37 المصدر نفسه ـ ص82.